23-11-2014

الشيخ جمال الدين سيروان

تجب طاعة الأمير ويحرج الخروج عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الأنوران الأزهران على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آل بيته الأطهار وعلى صحابته الأبرار وعمن سار على دربهم في هذه الدار، اللهم يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين نسألك اللهم في هذه الساعة المباركة أن تجعل لنا يا ربنا فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلا، نسألك اللهم وأنت الله لا إله إلا أنت سبحانك أنت الحي القيوم، سبحانك أنت مالك الملك، سبحانك أنت القادر على كل شيء، نسألك اللهم يا ربنا أن تحوّل حالنا وحال المسلمين إلى أحسن حال، وأن تردنا وإياهم إلى خير مآل، يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا غياث المستغيثين يا رجاء السائلين يا أمان الخائفين يا أنيس المستوحشين يا جليس الذاكرين يا حبيب الصالحين يا ولي المتقين يا ناصر المستضعفين يا قاهر الظالمين، اللهم يا ربنا عليك بالظالمين، شتت شملهم فرّق جمعهم أقلل عددهم اللهم اجعل بأسهم بينهم اللهم دمرهم تدميرا اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك اللهم إنك ترى ما نزل بعبادك المؤمنين المستضعفين نسألك اللهم أن تكون معهم اللهم أيدهم بتأييدك وأعينهم بعونك وأعطهم من عطائك وأفض عليهم من فيضك، اللهم يا ربنا إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، آت اللهم نفوسنا تقواها زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها تعلم سرها ونجواها، اللهم وإنا نسألك يا ربنا يا إلهنا يا مولانا أن تشفينا من كل داء وأن تعافينا من كل بلاء، اللهم اشفنا وعافنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم وخُصّ بالشفاء والعافية أخانا أحمد المزروع اللهم اشفه وعافه وأعده إلينا مشفيًا معافى برحمتك يا أرحم الراحمين وجميع مرضى المسلمين إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير، اغفر اللهم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولأزواجنا ولأولادنا ولذرارينا ولأشياخنا ولذوي الحقوق علينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ووالديهم وللمسلمين أجمعين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا محمد الأكرم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الأحبة الكرام، تصطخب الأحوال، ويتبدل المآل، ويستمر الأمر، ويظهر القدر، وتبرُز الحكمة، ويجلِّي الله عز وجل من خلال ذلك كله قضاءه وقدره، والقضاء والقدر هو غيب آمنا به، ومن خلاله عرفنا حكمة المولى سبحانه وتعالى، ولذلك المصطفى ﷺ يوم أجاب جبريل عليه السلام، في الحديث الذي تحفظونه، حين سأله عن الإيمان "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره" هذا الشر لا يكون شرًا، لأن الله تعالى لا يمكن أن يرضى لعباده كفرا، ولا يمكن أن يرضى لأحبابه عذابا، ولذلك يجعل الله عز وجل من مَعين الصبر آية النصر، ويجعل الله تعالى من معين المصابرة عين المكاثرة على عدوه، لذلك الله تعالى قال لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. فالصبر والمصابرة أمران جليلان، وخاصةً في أيام المحن الشديدة، والأزمات التي تستحكم في تصوراتها، هنا يأمرنا الله تعالى أن نصبر، وأن نصابر، وأن نرابط، وأن نتقي الله عز وجل، وأعطانا الله تعالى ثمرة ذلك يقينًا من غير شك، وهو الفلاح "صبرًا آل ياسر، إن موعدكم الجنة" فهذا الصبر لم يُثمِر في الدنيا ثمرة مادية، إنما ادخر الله تعالى لأرباب هؤلاء الصبر أن يكون لهم ثمرة ذلك في جنة النعيم، إن من يستعجل ثمرة الصبر هو الذي ينكر على الله تعالى ما يجريه، ومن أنكر على الله أنكر على نفسه، لأن الله سبحانه وتعالى يجري أقداره لحكمة، ونحن أمام هذه الأزمة، التي طحنت أفئدةً، والتي سلبت أمولًا، والتي هدّمت بلادًا، والتي فتكت أعراضًا، والتي فعلت ما فعلت، لا بد إلا أن يكون لنا سلاح به نتسلح، ألا وهو الصبر والعمل، الصبر الذي أمرنا الله تعالى به بالاستمرار فيما نحن فيه من خير، حذاري يا إخوتي من أن يأتينا ملالٌ أو كلال، حذاري من أن يأتينا إحباط عن أن نتقدم إلى خير أجراه الله تعالى على أيدينا، أو أن يقول أحد إن مثل هذا الخير لا يؤثر في مثل هذا الضير، فضير كبير، لا يؤثر فيه خير قليل، إياك أن يكون منك مثل ذلك، وأنت المؤمن بأن الله تعالى يبارك بالذرة الواحدة فيجعلها أضعافًا مضاعفة، أوليس الله الذي قال في القرآن: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ ، إذن إنها الحبة ﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. سبحانه وتعالى.

إذن إذا ما استحكمت الأزمات، وما اشتدت ضراوتها، لا بد أن نستروح في واحة الإيمان ليس لنا شيء يمكن أن يأخذ بأيدينا إلى شيء من الاطمئنان إلا بذكر الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. فقلوبنا ستطمئن بذكره سبحانه، لأن الأقدار ستجري إن رضي الإنسان أو لم يرضى، فالقدر ماضٍ شاء أم لم يشأ، رضي أم لم يرضى، سواء تبرَّم بالذي يجري، أو رضي بالذي يجري، فإن رضي بمحض إرادته الإيمانية، ولكنه جاء على المنهجية القرآنية ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. وأهم ما ينبغي في مثل هذه الأحوال أن نسأل الله تعالى الثبات على الإيمان، نسأل الله أن يثبتنا على الإيمان، اللهم ثبتنا على الايمان حتى نلقاك، لأن القضية قضية محنة، يأتيها في آخر الزمان، في أول الزمان، في نصف الزمان، علامات الساعة يذكرها النبي ﷺ ليس لأجل أن ترتخي الهمم، ولا أن تخور العزائم، ولا لأجل أن يستسلم الإنسان للأقدار من غير عمل، إن هذا المفهوم الأثيم الذي جاء من بعض وعّاظ أرادوا أن يسلخوا عن الأمة إرادتها، وأن يفرّغوها من محتوى قوتها، وأن يقولوا لها إن الساعة قد قدمت، وإن علاماتها قد ظهرت، أجل ولو ظهرت علامات الساعة فقد علَّمك سيد الخلق ﷺ، معلمي ومعلمك، الذي جعله الله تعالى منهجي ومنهجك، وقدوتي وقدوتك، ماذا قال لك؟ "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يغرسها، فليغرسها" مع أن العقل في تلك اللحظة يقول له ما فائدة ذلك؟ القيامة قامت، فلا فائدة من الغرس، أنت مكلَّف بأن تقوم بالمنهج، ولست مكلفًا بالنتيجة، إن النتيجة لرب العالمين هو الذي يعطيك ها كيف يشاء، متى يشاء سبحانه وتعالى، لذلك نحن الآن أمام هذه الأزمة المستحكمة، يتحادث الناس فيما بينهم، ويتقاولون أقاويل، وترى كثيرًا من الإحباطات تقوم على النفوس، باعتبار أن الغيوم قد ازدادت، وأن الضبابية قد اشتدت، وأنه ليس هناك من وضوح في رؤية لأمر من الأمور، ولا لمخرج من المخارج، كلما تأملوا في مخرج سُدَّ عليهم، ولكن إذا سد الله تعالى كل المخارج، ماذا علَّمنا رسول الله ﷺ، إذا سُدَّت المخارج ألا نتذكر أعمالًا عملناها؟ إذا تعطل علينا فعل عمل، فإننا نتذكر عملًا صالحًا، وهذا حديث عجيب، وكلكم تحفظونه حديث الثلاثة الذين سُدَّ عليهم الغار، أليس كذلك؟ هنا عجزوا عن العمل لا عمل، عجزوا عن العمل، إنما انتظار للموت، وانقطاع لكل وسيلة من وسائل الحياة، ولكن على ما عوَّل هؤلاء المفكرون المؤمنون؟ راحوا يعوّلون على أن الأمر بقدر الله، الله تعالى وفقهم إلى عمل صالح، فراحوا يتكئون على هذا العمل، لأن الله قال لهم في القرآن: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. فراحوا يخاطبون ربهم بهذه المنهجية، يا رب أنا عملت كذا، هذا يلي قال والله عن أجيره، وهذا يلي قال عن بنت عمه، وهذا يلي قال عن أبيه وأمه، كلكم تحفظون الحديث هذا، رمزيته ماذا؟ رمزية الحديث أنهم اتكأوا على كسل أم على عمل؟ اتكأوا على عمل، لمّا عجزوا عن العمل اتكأوا على ما كانوا يعملون، فكأن الحديث يقول لنا إياكم أن تتركوا فرصة تستطيعون فيها أن تعملوا عملًا مهما كان صغيرًا، فإن الله تعالى يبارك فيه، فهذه الأعمال التي ذكرها الثلاثة، هي عبارة عن بر من ابن لأبَوين، أن لا يسقيا أولاده قبل أبويه وأن ينتظرهما حتى الفجر، عمل جليل وعظيم، ولكن يعني في الأعمال الصالحة الكبيرة ماذا يكون يعني؟ في نهضة أمة في هذه القضية؟ عمل استطاع أن يقوم به هذا الراعي، يعني كأنه كان راعيًا، إنما جاء من بعد رعيه، فجاء بالغَبوق لأبويه، ولم يسقِ قبلهما أولاده، الثاني والله عفَّ نفسه عن تلك المرأة، الثالث والله حفظ أجر ذلك الأجير، إذن إن الأعمال الصالحة التي يمكن للإنسان أن يقوم بها، فليعلم بأن أي عمل مهما دقَّ ومهما قل، فإنه عند الله تعالى له ميزان، كمثل ما ذكرنا بأن الله تعالى قد قال لك بأن الحبة تنبت: ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾. فالله قد يبارك لإنسان بعمل كان أقصى ما يستطيعه، لذلك درهم سبق ألف درهم، درهم سبق ألف درهم، هذا الذي أطيقه، فإذا كنت على هذا اليقين بأني سأقوم بما أستطيع، ولن أدخر جهدًا بما أستطيع، عندي يقين بأن الله تعالى سيبارك لي في هذا العمل، وقلت لكم في الدرس المنصرم أو لم أقل، بأن الله تعالى لمّا ذكَّرنا بأهل الكهف، وبارك لهم، وأعطانا رمزية في ثلاثة قرون مع تسع سنوات، هذه القرون الثلاثة زرعوا قبل ثلاثة قرون، فأثمر لهم الأمر، فقال لهم إن نتاج عملكم جاء بعد ثلاثة قرون، أبشروا إنَّ ما زرعتموه لم يكن ضائعًا، قد يقول قائل ما فائدة هذه الدروس يا أخي؟ اتركونا الآن خلي كل واحد يسكر على نفسه الآن، في ثقافة منتشرة اليوم يا أخي، خلاص أخي عضَّ على جذع شجرة واعتزل الناس والقضية انتهت والقيامة ستقوم، من قال لك ذلك يا أخي؟ من قال لك ذلك؟ عليك أن تكون عاملًا لا خاملا، وأن تكون نشيطًا لا محبطا، وأن تكون متقدمًا لا متأخرا، كذلك أرادك الإسلام وأرادك نبيك الحبيب عليه الصلاة والسلام، وكلما اشتدت الفتنة، وكلما ازدادت الأزمة، وكلما استحكم الأمر؛ فعليك أن تزداد شدة في الاستمرار، ومضاء في العزيمة، حتى يعطينا الله تعالى مثل هذا الأجر الذي نسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، إنه سميع قريب مجيب.

أحببت هذه المقدمة بين يدي ما كنا نتحدث عنه عن قضية إقامة العدل، فإقامة العدل كما قلت يبدأ من الفرد بنفسه لنفسه، ثم بالدائرة التي حوله، ثم لأجل أن يكون في المجتمع الأكبر، ثم في البشرية كلها، العدل الذي نشده النبي ﷺ،

وقال لأصحابه رضي الله تعالى عنهم ممن انتخبهم لأجل أن يكونوا نخبة طاهرة، لا خوفًا مما كانوا يعانونه، إنما انتخب نخبة طاهرة لأداء مهمة البلاغ عن الله، فقال لهؤلاء: "اذهبوا إلى الحبشة، فإن فيها ملكًا لا يُظلَم عنده أحد" يقوم بالعدل، فالعدل أساس الأخلاقيات من أولها إلى آخرها، منبع الأخلاق إنما هو العدل، إذا قام العدل قامت بقية القِيَم، وإذا فُقِد العدل فلا قيم على الإطلاق، فلا بد من أن يكون العبد مقياسًا لكل حركة من حركات حياتنا، لذلك القرآن الكريم كان يؤكد على هذه القضية ويجعلها قضية أمانة، كما ذكرنا قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. هنا تنزيل النظرية على التطبيق، هذه النظرية نظرية إيه؟ الأمانة، نظرية العدل، تحتاج لتطبيق، مَن الذي يكون أجلى الناس في تطبيقها؟ حاكم عادل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. وقد فسرت آنئذٍ قضية ذكر الله عز وجل لأطيعوا قبل لفظ الجلالة، ولا فعل أطيعوا قبل لفظ الرسول ﷺ، وبالإتباع جاء الأمر بطاعة أولي الأمر، وقلنا الطاعة طاعتان؛ مطلقة ومقيدة، فالمطلقة لله وللرسول ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. لماذا رسول الله ﷺ؟ لأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. فهو ناقل عن الله، إذن طاعة الرسول ﷺ طاعة الله، لأنه ناقل عن رب العالمين، ولكن هؤلاء الذين أُنتخِبوا فكانوا في ذروة الهرم لأجل أن يقيموا المؤسسة، وليرعوا الحقيقة، وليقيموا الميزان، وليطبّقوا المنهج، هؤلاء ليست طاعتهم مطلقة، ولكن طاعتهم منوطة بالمنهج، فإذا كانوا مع المنهج مستقيمين فطاعتهم واجبة، ومن خرج عليها كان عاصيًا، ومنخرج عليهم سواء باللسان، أو بالتفلت من الطاعة أو بالقتال، فإنما يقاتل تحت راية عُمِّية كما قال النبي ﷺ، وأنه يقاتَل، وأنه يكون في النار، لأنه يقاتِل من؟ لا يقاتلهم، يقاتل من؟ يقاتل المنهج، إذن إذا كانوا ممثلين للمنهج، فطاعتهم واجبة، وعلينا إجلالهم، وإعظامهم، وتوقيرهم، وإنزالهم منزلتهم، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نعطي كل ذي حق حقه، وطاعة أولي الأمر الذين يقومون بمنهجية الحق واجبة، وإعظامهم واجب، وتوقيرهم واجب، والانتقاص منهم حرام، إذن إن هذا الأمر بالعدل، ولكن إذا عاثوا في الأرض فسادا، ونشروا في الأرض إلحادا، وأمروا الناس بالسجود لهم من دون الله، هل نطيعهم لأن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. طاعتهم هنا إنما هي المهلكة، وإنما هو الإلحاد، وإنما هو الكفر، لأن من يطيعهم إنما يكفر بالله ورسوله، لو أطاعهم بأن يقولوا والله كما قالوا في عقيدتهم التي جعلوها في بلاد الشام، ماذا قالوا؟ قالوا: آمنتُ بالبعث ربًّا لستُ أُشرِكه، وبالعروبة دينًا ما له ثاني. فأنا أُجِلّ هذا الحاكم الذي يقول لي آمنت بالبعث، يعني حزب البعث العلماني الكافر الفاجر ربًّا لست أشركه، وبالعروبة دينًا ما له ثاني، فمن أراد أن يقول والله يا أخي ربنا قال القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. إذن توظيف هذه الآية لهؤلاء، إنما هو كفر، إنما هو دعوة للكفر، لأننا نؤمن بالله وبرسول الله ﷺ، وبالقرآن الذي أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ.

هذه مقدمة كنا قد تحدثنا بعضًا منها في الدرس المنصرم، ووصلنا إلى الصفحة السادسة والأربعين في قضية طاعة أولي الأمر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، وذلك أني قلت لكم بأن أحاديث يتواكب بعضها مع بعض، وينضبط بعضها مع بعض، وأما أن تأخذ حديثًا مختطفًا فهذا اختطاف للمعاني، لا بد إلا أن نأخذ الحديث مع خارطته الشمولية، وأما أن يُختطف حديث دون أن يكون مرتبطًا بهذه المنهجية هنا يكون الضلال في الفهم، لذلك هنا أحاديث، قد يكون ظاهرها غير المقصود الذي قلناه منهجيًا، فلا بد من أن يكون مرتبطًا بهذه المعاني، هنا النبي ﷺ يقول لنا في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "مَن خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات؛ مات ميتة جاهلية" هذا مَن؟ الذي قلت بأن هناك أميرًا، أو هناك حاكمًا، أو هناك رئيس جمهورية، أو هناك ملكًا، لو أن واحدًا من هؤلاء وقام بالمنهج، فإذا به جاء ناس فعارضوه، قاوموه، قاتلوه، قال: "ثم مات؛ مات ميتة جاهلية، ومن قُتِل تحت راية عُمِّية" تحت راية عمية، والمقصود بالراية العُمِّية التي اشتد ضبابها، واشتد اختلاطها، واشتد التياثها، هذه الراية العمية، يعني قام ناس يريدون أن يقولوا الدولة الإسلامية راية عمية، يقاتلون من أجلها، ما هذه الراية؟ كيف يمكن أن تقوموا بكل هذه الشناعات والفظاعات باسم الإسلام؟ هذه راية عمّية، فإذن "ومن قُتل تحت راية عمّية يغضب للعصبية، ويقاتل للعصبية، فليس من أمتي" انظروا هنا قضية العصبية، يعني النبي ﷺ يوحد المنهجية، فيقول لك ما قاتل من أجل الله، لأن الله تعالى أمره أن يطيع كما قلت، وألا يكون عنده حمل لسلاح، لذلك قال: "من قاتل على هذه القضية بالعصبية، فيكون مصيره كذلك، ومن خرج من أمتي على أمتي، يظلم برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها، فليس مني" إذن هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا الفوضى والاضطراب، وأن يجعلوا قضية تقوم من غير

حساب، فهؤلاء ليسوا في هذا النصاب، إنما قد خرجوا من هذا الحساب نهائيًا، لأن الله تعالى لا يأمر بالفوضى ولا بالاضطراب، إنما يأمر بالإحسان ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾. كذلك الله تعالى أمر، وقال هنا: "يضرب برَّها وفاجرها" يضرب برها وفاجرها، لأنه الفاجر هاد ليس هو المكلف بأن يقوم بضربه، وقد قلت لكم فيما سبق، وهذه إشارة هامة جدًا، بأن إقامة الحدود التي يقوم بها بعض الناس اليوم، من الذين يقولون والله نحن نريد أن نمثل حكم الإسلام، الذي يضرب الفاجر هو المؤسسة وليس الفرد وليس مجموعة، إذ لا يجوز لأحد أن يقيم الحد، الحد من يقيمه؟ الفرد أم الدولة؟ الدولة تقيم الحد وليس الفرد، الفرد لا يقيم حدًا، لا يجوز أن يقيم حدًا، لذلك النبي ﷺ ماذا قال هنا؟ "ومن خرج من أمتي على أمتي، يضرب برها وفاجرها" هذه ليست مهمتك ولا يجوز لك أن تقوم به، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها، أنه والله هدول نصارى، هدول يهود، هدول ما أعرف إيه، هؤلاء ينبغي أن نحرق كنائسهم، أن ندمر بيوتهم، لاحظتم الخارطة التي يبنيها النبي ﷺ؟ يبنيها ليفهمنا بأن القضية ذات منهج، فلا ينبغي لأحد أن يقوم بهذه العبثية التي نرى قيامها من قِبل من أراد أن يدْرُسنا، وهو بخطة محكمة، وعدو ماكر، ولو أنكم اطّلعتم وتطلعون على ما يكون من تخطيطات، سواء من الحربين العالميتين، وسواء من هزيمة الدولة الإسلامية العثمانية، لو أنكم نظرتم إلى تلك التخطيطات، وكيف استطاعوا الاختراقات من خلال ثغرات انشأناها، ومن خلال وعي زال عن أذهاننا، لذلك النبي ﷺ يقول لنا في هذا الحديث الطويل العجيب المعجِز، بأنه يمكن أن يأتي بعض من الناس وقد فسد تصوراتهم عن دينهم أن يتصرفوا تصرفات حمقاء باسم الإسلام، وأخطر ما يكون أن تكون التصرفات الحمقاء باسم هذا الدين، وأيضًا قلنا إن المنافقين يتخذون أيضًا شعار الدين أحيانًا لأجل أ ن يضربوا الإسلام بنفاقهم، فنجد منافقًا كما نجد عابثًا وجاهلًا، قال: ولا يفي بذي عهدها، المقصود بذي عهدها يعني المواطنة بنسميها المواطنة نحن، يعني في هناك عقد مواطنة للناس، اللي سميناه نحن جزية؟ الجزية هي عبارة عن ضريبة، الضريبة هي تاكس، فلماذا يعظمون الجزية؟ وبعدين عن يد وهم صاغرون، قلت لكم سابقًا عن يد وهم صاغرون، ليس المقصود عن يد وهم صاغرون، يعني وهم أذلاء محتقرون، لا يعني إنما هم أقروا بهذا القانون قانون الجزية، يعني قانون للضريبة، وهذا قانون معتدّ به في دول العالم المتطور اليوم، اليوم الذي يريد ألا يقر بقانون الضريبة في أمريكا، ولا في كندا، ولا في أوروبا، ماذا يعتبر؟ أكبر جريمة هناك عدم الإقرار بالقانون الضريبي، أكبر جريمة، المتهرّب من الضريبة مجرم كبير يتابَع، ويعاقَب، ويحاسب، ويسجن، ويؤخذ من ماله، فلماذا نستكثر في الإسلام إذا قال في عندي قانون ضريبي على من لم يرد أن يكون منهج الإسلام في عقيدته له، إنما يريد أن يعتقد ما يشاء، ويتصرف بما يشاء بالنسبة لأمره الخاص فلا نتدخل في خصوصيته، ولكن طالما أنه مواطن يرعاه هذا المنهج وترعاه هذه الدولة، فيدفع هذه الضريبة، وكانت الضريبة كما قلت لكم هي الجزية كما قلت لكم لا تتجاوز في العام ليرة ذهبية، خمس غرامات ذهب بالسنة، وهذه تتطور بتطور العصر، ويمكن للمجتهدين أن يتطوروا فيجعل نظامًا ضريبيًا إلى آخر ما هنالك، ليس هذا الموضوع موضوعي، لكن أنا قلت هنا أن النبي ﷺ قال لك الحديث: وإذا قرأته أعيده من جديد "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عُمِّية". شو الراية العمّية؟ شديدة أيه؟ الضبابية، وشديدة الظلمة، وشديدة الفوضى، وعدم معرفة الواقع "تحت راية عمية، يغضب لعصبية، ويقاتل للعصبية، فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها، فليس مني" ليس من منهجي، ليست هذه المنهجية التي أدعو إليها، منهجيتي شيء آخر عليكم أن تتعلموها.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: "مَن خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" لأن الله تعالى يأمرنا بالجماعة، ويأمرنا بأن سنكون دائمًا ملتقين على الخير، فلذلك يدعونا ألا يتمرد إنسان وألا يتفرد، وأن يكون ضمن هذه الجماعة، ولو كان فيها خطأ فالخطأ يصحّح على حسب حجمه، أما أن يكون إنسان منفرِدًا، وأن يغرد كل إنسان بما يبتغيه في الأمر الجماعي فحرام، غرد لنفسك ما تشاء ضمن المنهج بالمباح بما تشاء، ولكن في الجماعة لا يجوز لك أن تغرد بما تشاء، أمر الجماعة لا يحكمه إلا الجماعة، لا يمكن لفرد أن يتحكَّم بأمر الجماعة، مخلِصًا كان أو منافقا، لا يجوز مهما كان مخلصًا، يعني سيدنا أبو ذر رضي الله عنه لمّا لم يجد منه النبي ﷺ الأهلية لقيادة أمر جماعي، ماذا قال له؟ لمّا قال له: يا رسول ولّني. قال له: "إنك رجل ضعيف" ما تستطيع القيام بالمهمة العامّة، المهمة العامة تحتاج إلى إنسان يستطيع أن ينصاع للفكر العام، لذلك سيدنا الصدّيق رضي الله تعالى عنه، ماذا قال؟ في خطبته السياسية الأولى، ولّيت عليكم ولست بخيركم، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، إن عصيت لا طاعة لي عليكم، إن أحسنت فأطيعوني، إن أسأت فقوّموني. لكن ضمن الجماعة، ضمن الجماعة، أمّا أن يغرد واحد لفرده، ويقول والله أنا أنشأت اليوم قرار ودولة لحالي وحدي هكذا يغرد بنفسه، هذا أمر

ليس من الإسلام فيه شيء، لذلك النبي ﷺ يقول لنا هنا: "من خلع يدًا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة " طالما أن هناك، والمقصود بالبيعة اسم البيعة يعني المقصود في مثل ما بنقول الآن انتخابات، بنقول والله مبايعة، إلى آخر ما هنالك، المقصود أن الإنسان لمّا يعيش عقد المواطنة مع الآخرين بمثل هذه الآليات التي يمكن أن تحكم الناس بالعدل إن شاء الله.

عن عرفجة رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت الرسول ﷺ، يقول: "إنه ستكون هنَات وهنات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان" يعني الذي يريد أن يفرق الأمة، هكذا يريد أن يخرِج الأمة ويقول لها اشتعلي، والأمة مجتمعة على خير، لكن مو على ضير، إذا كانت مجتمعة على خير، أمّا على ضير فالأمر آخر. وفي رواية: "من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه" إذن كل هذا ينصرف إلى أن هذا الأمر قائم بمنهج الله، أما من قام بفرعونيته، وقام بإلحاده وكفره، وقام بأن يكفِّر الناس، وأن يدعوهم إلى عبادته دون عبادة الله، فهل نقول والله هذا الحديث يوظَّف له؟ أنا أعيد الحديث، لأن هذا الحديث يستخدمه بعض من علماء السوء لتسويغ ما يقوم به هؤلاء الظلمة والفجرة من الحكام المجرمين، فالحديث ماذا يقول؟ يقول: "إنه ستكون هنات وهنات". يعني حيكون أخطاء، لكن هذه أخطاء، أخطاء وليس كفرًا، أخطاء في التطبيقات، أخطاء في العدل، ممكن يكون في خطأ بالعدل، لكن ليس خطأ في المنهج كله، ما في كفر، في أخطاء بالتصرفات، أخطاء ببعض الأحكام "فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة، وهي جميع على المنهج، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان" وفي رواية: "من أتاكم أمركم جميع على رجل واحد" منهج واحد مثل منهج أبو بكر الصدِّيق "يريد أن يشقّ عصاكم" متل المرتدين شيء آخر "أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه". إذن هذا الحديث يوظف لمن أراد القيام بحق الله عز وجل في منهجية الإسلام، وجاء من يريد أن يخرج عن الطاعة، حينئذٍ وجب قتاله وإخراجه من هذا الخندق الذي تخندق به.

عن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "خيار أئمتكم" شوف بقى الأئمة الذين يصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم الذين يمكن أن يكونوا هداة، وأن يكونوا مرشدين، وأن يكونوا مسبّحين، وأن يكونوا مصلحين، قال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلُّون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة" حتى هذا الحد لا يصح، ما أقاموا فيكم الصلاة، وأما إذا والله قالوا لنا اسجد لنا من دون الله، بنقول لهم والله سمعًا وطاعة باعتبار أنه لا يجوز لنا أن نخرج على رجل واحد استبدَّ بنا هو وأبوه خمسين سنة، لأن الرسول أمرنا بذلك، لا يجوز الخروج على ولي الأمر، قلت أريد حريتي، أريد كرامتي، أريد أن أعبد الله وحده، لا لا يجوز لك أن تعبد الله وحده، ويقال لمن كان لا يريد، مين ربك؟ الله، فيبصق عليه، ويداس رأسه بالقدم، ويقال له ربك بشار، وهنا وجب علي طاعته، ويؤوَّل ذلك أنه هؤلاء غلطانين، هدول غلطانين، ما في شي غلط بسيط جدًا، هذا غلط يصلَّح، إذن إن هذه الأحاديث لا توظَّف لهذا المعنى على الإطلاق، فقال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فلا تنزعوا يدًا من طاعة" شوف المنهجية بقى، اكرهوا عمله، لكن هذا كله على حسب ما ذكرت بفلسفة الأحكام، بأن القضية منوطة بداية ونهاية بأن هؤلاء يرتضون أن يكون المنهج الذي يُحكَم الناس به شريعة الله سبحانه وتعالى، فإذا كانت شريعة الله تعالى هي الحَكَم، ولكن قصّروا، أساءوا، فلا يجوز لنا أن ننزع الطاعة المطلقة، إنما نقول كلمة حق، إنما نناقش بالحق، إنما نأتي بالهداية، إنما نأتي بالنصيحة، كما قال النبي ﷺ: "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم" النصيحة، والنصيحة تكون على حسب الحال، وكما رأينا أن طرائق النصيحة تختلف من عصر إلى عصر. يعني قد يقول والله "كلمة حق عند سلطان جائر" قد تكون سابقًا كسعيد بن المسيب له طريقة، عز بن عبد السلام له طريقة، وقد تكون اليوم طرائق أخرى، فيمكن أن يكون الطرائق التي يمكن أن تكون بالنصيحة متغيرة من عصر إلى عصر، لكن أن يقول الإنسان الحق ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أمر الله رسوله الأعظم ﷺ ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فإذن إن هذه القضية، شوفوا اكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة، إذن هذه الأحاديث كلها كما ذكرت، إنه في أحاديث اليوم توظَّف توظيفًا خطيرًا جدًا من قِبل بعض علماء السوء، لأولئك المجرمين الذين يفسدون في الأرض، والذين ينشرون الرعب، ويقومون باستلال سيوفهم على رقاب الناس، ويقولون للناس إن الله يأمركم أن تكونوا أذلاء وحقراء، وأن تُسلَب أموالكم، وأن تفضح أعراضكم، وأن تدكَّ مساجدكم، وعليكم طاعة لله وطاعة لرسوله، وائتمارًا بأمر القرآن، أن تقولوا: نعم لبيك لبيك بالروح بالدم نفديك يا بشار، هؤلاء الذين يمكن أن يسوغوا مثل هذا الأمر، هؤلاء إنما يريدون أن يغيروا دين الله، وأن يبدلوا شريعة الإسلام، وأن يجعلوا الكفر أيمانًا والإيمان كفرا، ولكن إذا كان الناس على منهج

الإسلام بالعموم، وهناك هنات وهنات كما ورد معنا في الحديث الذي ذُكر بين أيديكم الآن "ستكون هنات وهنات" يعني قد هذه الهنات جمع هنة، وهو يعني الأخطاء قد تكبر وقد تصغر على حسب حجمها، ولكن ما زالت في إطار الإيمان، في إطار أني أخطأت في خطأ شرعي، فإذن ضمن الخطأ الشرعي يحاسب الإنسان على خطأه، ولكن أمر الجماعة نعيد فيه قواعد:

أولًا أن أمر الجماعة لا يمكن أن يستبد به فرد، لا يمكن أن يستبد فرد بأمر جماعة، ولا أن يشرّع فرد لجماعة، فالأمر الجماعي كما قال القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. إذن لا يجوز في الأمر العام أن يستبد للرأي فرد مهما أوتي من العلم، فلا بد من أن يكون العلم علمًا جماعيًا، ورأيًا مشتركًا، إذن ما يمكن لواحد أن يقول والله أمير المؤمنين للدولة الإسلامية داعش ولا غير داعش لا يمكن، هذا كلام غير واعٍ، وغير صحيح، وغير إسلامي، أصل التصور غير صحيح أصلًا.

ثانيًا، أن يكون هذا الأمر قائمًا بأن الطاعة منوطة بقيام شريعة الإسلام، بشريعة الإسلام بالعموم، يعني العنوان العام بالإسلام وهناك تفاصيل، التفاصيل قد يخطئ فيها الحاكم يخطئ فيها المحكوم، فإذن كلٌ يحاسَب على قدر خطئه، فلا عصمة لأحد على الإطلاق، كما أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما ادّعو لأنفسهم عصمة رضي الله تعالى عنهم، بل قال سيدهم وأولهم الصدّيق أبو بكر رضي الله تعالى عنه هو الذي قال: وليت عليكم لست بخيركم، أطيعوني ما أطعت الله فيكم" فإذن هذا الأمر الثاني الهام في هذه القضية.

ثالثًا الأحاديث التي وظفت كما ذكرت، بأنها ينبغي لنا أن نطيع فإن الطاعة ذكرت عنها بأنها طاعتان، طاعة مطلقة، وطاعة مقيدة، فالطاعة المطلقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. فالطاعة مطلقة لله وللرسول، والمقيدة لأولي الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. هذه الشروط التي جعلها القرآن واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض، فإذن هذه الأحاديث تُقرأ في هذه الأيام قراءات أحيانًا متعجلة، ويقول أحد الناس وأحد الشباب خود هذا حديث عم يقول لي والله أطيع أنا مهما يكون، وإياك أخي ما أقاموا الصلاة، هي عم بتقيم الصلاة يصلي العيد، شوف بقى النفاق الذي يأتي لأجل التدليس، يقول و يأمر الناس أن يسجدوا له من دون الله، ويروح بيصلي العيد، هذه قضية يعني الذي يمكن أن تمضي على العاقل، يفضح أعراض المسلمات، يذُكّ مساجدهم، يأتون في وسط المساجد، يبولون على المصاحف، وهؤلاء نقول والله يا أخي علينا طاعتهم؟ لا هذا ليس على طاعتهم، ليس علينا طاعتهم على الإطلاق، طاعتنا لمن يقيم الإسلام ولو قصّر فيه، فالتقصير فيه يكون فيه النصيحة، ويكون فيه التواصل بالخير والبر، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

نسأل الله تعالى أن يردّنا إلى فهم وعينا، وإلى إدراك ديننا ردًا جميلًا، إنه السميع القريب المجيب.

والحمد لله رب العالمين.